علم اللسانيات التعليمية:

بما أنّ اللسانيات عموما والتعليمية خصوصا، ترتبط بالعملية التعليمية بشكل مباشر، لأنّها تعالج مختلف زوايا اللغة لإيجاد الطرق الناجعة لتعلم اللغة وكيفية اكتسابها بتذليل العقبات التي تعرقل المتعلم في الوصول إلى امتلاكها، وجب أن نركز على المجال الذي ترتبط فيه اللسانيات بتعليمية اللغة من خلال مفهومها وأهميتها ودورها في نجاح العملية التعليمية.

النشأة:

تشير الكتب المؤرخة للتعليمية إلى نشأتها بوصفها حقلا معرفيا بعيدا عن أحضان الدراسة والبحث اللساني، فالتعليمية مجال لساني بحت ودراسة ليست مقصورة على تعليمية اللغات وحسب، بل في مفهومها العام علم يهتم بالمتعلمين بقضاياهم النفسية والاجتماعية، وهو ما جعلها تتقاطع مع علم التربية، أو فن التدريس[1].

إنّ نشأة التعليمية بعيدا عن الأبحاث اللسانية هو ما حدد الفرق بين تعليم اللغات اليوم وتعليم اللغات في القديم وقد تغلغل هذا العلم الناشئ – التعليمية– أكثر من فن التربية لاهتمامه بقضايا اللغة وتعلمها[2]. كما تشير بعض القواميس والمراجع المختصة إلى أنّ مصطلح – التعليمية– ظهر في منتصف القرن السادس عشر ليشير إلى أسلوب شعري معروف كانت من خلاله تطرح النظريات والقوانين العلمية وظل هذا اللفظ متداولا في قواميس اللغة اللاتينية والفرنسية، ليشير إلى كل ما له علاقة بالتعليم (وسائل تعليمية، طرق تعليمية)[3]. وعليه فالتعليمية هي علم من علوم التربية له قواعده ونظرياته يُعنى بالعملية التعليمية، ويقدم المعلومات وكل المعطيات الضرورية للتخطيط، يرتبط أساسا بالمواد الدراسية، من حيث المضمون والتخطيط لها وفق الحاجات والأهداف والقوانين العامة للتعليم، وكذا الوسائل وطرق التبليغ والتقويم[4].

المصطلح والمفهوم:

فاللسانيات التعليمية مصطلح وُضع في اللغة العربية ليقابَل به المصطلح الغربي المشهور بالتركيب الآتي (la didactique des langues)، لهذا نجد البعض يعمد إلى ترجمة العبارة

1
2
3
4

الفرنسية ترجمة حرفية فيستعمل معها مصطلح (تعليمية اللغات)، ونجد آخرون يستعملون المركب الثلاثي (علم تعليم اللغات)، وهناك من يكتفي بتسمية (تعليم اللغة)، ثمّة من يفرد مستعملا (تعليميات) أو (تعليمية) بكل اختصار حتى حين يتعلق الأمر باللغات؛ وهناك من يلجأ مرة أخرى إلى التركيب الثلاثي (علم تعليم العربية).

ولما كانت اللسانيات هي المجال الأهم الذي يتناول موضوع اللغة والأدنى إلى المجال المعني بتعليمها وبنظريات هذا الأخير ومناهجه وفنياته وطرائقه أضحى من المناسب جدا أن تقرضه اللسانيات حتى التسمية، فنحصل بذلك على مصطلح مركب تركيبا نعتيًّا إذ قُيّد بنعت (تعليمية)، أي اللسانيات التعليمية[1].

ولا حاجة لنا إلى التدقيق باصطناع تسمية شاملة بالقول مثلا: (لسانيات تعليمية اللغات)، فهو من الناحية التركيبية سليم، لكن ما يطاق من الإطناب في جمل ومركبات اللغة العادية قد لا يسلَم القياس عليه في مقامات المصطلح من ثمّ حسبنا مفردة لسانيات التي كما أفدنا أعلاه متضمنة لدلالات العلم والموضوع.

كما مال البعض الأخر إلى إحياء القاعدة القياسية بتفضيلهم تسمية (التعليميات)، وهو مصطلح مبني قياسا على اللسانيات والرياضيات والصوتيات[2].

لا يجاب الصواب من يرتاب في إمكانية الجمع بين مصطلحيْ (تعليمية اللغات واللسانيات التعليمية) في ذات السياق. أو في سياقات متباعدة في طيات نصٍ واحدٍ وكذا في نصوص مختلفة أنتجها مؤلفٌ واحد، بل وحتى في حالة إنتاجها من قبل مؤلفين متمايزين. من غير الوقوع في اضطرابٍ على مستوى الدلالات المحتمَلة؛ لهذا يجدنا القارئ نتفاعل مع هذه الإشكالية، إذا صادف وأن جمعنا بين المصطلحات الثلاثة أو على الأقل بين مصطلحين، بطريقة نحسبها راشدة، إذ نميز بينها آنيا معتبرين المحور الاستبدالي والمحور التركيبي بهذه الصيغة المختصرة:

- تعليميات (تتعلق بكل مواد التعليم دون استثناء).
- تعليمية اللغات (فعل تعليم اللغات والنظر فيه على ضوء كل الاختصاصات القريبة من مجالات التعليم).

1

2

–لسانيات تعليمية (لسانيات تطبق وتمارس درسَها. بكل طاقاتها من قريب ومن بعيد. على ذلك النظر، أي "النظر على ضوء كل الاختصاصات القريبة من مجالات التعليم" واللسانيات في المقام الأول)[1]. لكن في الآونة الأخيرة شاع استعمال كلمة تعليمية.

التعليمية هي ترجمة للكلمة didactique التي اشتقت من الكلمة اليونانية didaktilos والتي كانت تطلق على نوع من الشعر، يتناول شرح معارف علمية أو تقنية(الشعر التعليمي)[2].

ويعرفها سميت (1936) على أنها فرع من فروع التربية، موضوعها خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية وموضوعاتها ووسائطها ووسائلها، وكل ذلك في إطار وضعية بيداغوجية، وبعبارة أخرى يتعلق موضعها بالتخطيط للوضعية البيداغوجية، وكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة[3].

موضوعها " تطرح موضوعات عديدة، على بساط البحث في التعليمية، إذ يمكن أن يهتم المتخصص فيها بعدة اهتمامات، لا تنحصر في المادة وحدها، وإنما تمتد لتشمل كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في مختلف أبعادها ومساراتها، في ترابط وتناسق وانسجام، بين مختلف عناصرها المكونة لنظام التعلم والتعليم[4].

بناءا على ما سبق يتبين أن مجالات البحث في ديداكتيكا اللغات متعددة، ومن ثمة فهناك العديد من المواضيع، التي يمكن أن تشغل الباحث الديداكتيكي وتشكل أساسا لفرضياته، وهي تشمل عناصر مختلفة منها: الأهداف– المتعلم– المحتويات– الطرق.

فروعها تنقسم التعليمية إلى فرعين أساسين، يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير هما:

التعليمية العامة (didactique générale): تسمى أيضا التعليمية الأفقية، وهي التي تكون مبادئها وممارساتها قابلة للتطبيق مع كل المحتويات وكل المهارات، وفي كل مستويات التعليم، تقدم المعطيات الأساسية والضرورية للتخطيط لكل موضوع، ولكل وسائل التعليم، لمجموع عناصر الوضعية البيداغوجية[5].

1
2
3
4
5

" إنّ الديداكتيك العام، يهتم بكل ما يجمع بين مختلف مواد التدريس، وذلك على مستوى الطرائق المتبعة، فهو يقصر اهتمامه على ما هو عام ومشترك في تدريس جميع المواد، أي القواعد والأسس العامة، التي ينبغي مراعاتها من غير أخذ خصوصيات هذه المادة أو تلك بعين الاعتبار"[1].

إذن فالتعليمية العامة، تهتم بتقديم المبادئ الأساسية، القوانين العامة والمعطيات النظرية، التي تتحكم في العملية التربوية من مناهج وطرائق تدريس ووسائل بيداغوجية وأساليب تقويم، واستغلالها أثناء التخطيط، لأي عمل تربوي بغض النظر عن المحتويات الدراسية وطبيعة المادة المدروسة.

ويتلخص موضوعها حاليا، في تفاعل نشاطي التعليم والتعلم في إطار قواعد العملية التعليمية، وكانت في السبعينات والثمانينات، تركز على النشاط التعلمي، أما في الستينات فكان الاهتمام منصبا إلى النشاط التعليمي (التلقين)، وهذا ما يدل على التطور الذي أصابها.

التعليمية الخاصة (didactique spéciale): أو ما يسمى " بديداكتيك المادة، فيهتم بتدريس مادة من مواد التكوين، من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها وبالتالي يمكن أن نتحدث عن ديداكتيك اللغة، ونعني بذلك كل ما يتعلق بتدريس مهارات اللغة كالقراءة والتعبير والكتابة، وفي هذا الصدد؛ يرى P.Jounaeri أنّ هناك قواسم مشتركة بين ديداكتيك المواد"[2].

إنّ التعليمية الخاصة تمثل الجانب التطبيقي للتعليمية العامة، إذ تهتم بأنجع السبل أو الوسائل لتحقيق الأهداف وتلبية حاجات المتعلمين، وتهتم بمراقبة العملية التربوية وتقويمها وتعديلها، كما "تهتم بتخطيط العملية التعلمية– التعليمية لمادة خاصة، ولتحقيق مهارات خاصة وبوسائل خاصة، ولمجموعة خاصة من التلاميذ"[3]، وبالتالي فهي على نطاق أضيق من التعليمية العامة، لأنها تتعلق بمادة دراسية واحدة، وتهتم بعينة تربوية خاصة.

أهدافها:

تهدف التعليمية didactique إلى ما يأتي:

- إكساب المتعلم مختلف المعارف والمهارات والخبرات.
- تحقيق الكفاءة المسطرة عند المتعلمين والعمل على تطويرها.

1

2

3

–تمكين المتعلمين من توظيف الموارد المعرفية والمكتسبات المختلفة في حل المشكلات التي تواجههم خارج الموقف التعليمي التعلمي.

–انتقاء الطرائق الفعّالة والوسائل الناجعة وكذا الوضعيات التعليمية الملائمة لتحقيق الأهداف التعليمية.

–تذليل الصعوبات وإزاحة العراقيل التي تمنع المتعلمين من عملية التعلم.

علاقتها بالعلوم الأخرى:

" تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى، إلى درجة يصعب التفريق بينها في بعض الأحيان، فهي في إيطاليا ترادف علم النفس اللغوي، وعلم النفس التربوي ويتداخل مفهومها إلى حدّ الالتباس في بلجيكا مع البيداغوجيا، بينما يرتبط في فرنسا باللسانيات التطبيقية، دون أن ننسى اللسانيات العامة والصوتيات وعلم النفس العام وخصوصا ما تعلق منه بنظريات التعلم، وعلوم أخرى اهتمت بالمجال الاجتماعي الثقافي"[1].

1 –اللسانيات التطبيقية:

لقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات، استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها، فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها، التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية وبنياتها، وذلك انطلاقا مما قدمه سوسير في المدرسة البنيوية، وبلومفيلد في المدرسة التوزيعية، ومدرسة تشومسكي التوليدية التحويلية، وما قدمته المدرسة الانجليزية مع فيرث، وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم، كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات، أهمها مفهوم النظام عند سوسير، ففي رأيه أنّ اللغة نظام محكم، يتكون من مستويات للتحليل هي: المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي والدلالي[2].

ومن ثمة فإنّ تحديد تلك الأبنية ووحداتها، وما يربط بينهما من علائق متنوعة من شأنه، أن يعين على معالجة المواد اللغوية، المدرسة معالجة بيداغوجية مخصوصة، يراعى فيها التدرج من البسيط

1

2

إلى المقعد، والانتقال من الشبيه غلى الشبيه به أو المقابل له، وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين، وتسيير عملية استحضارها من قبلهم، كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك[1].

ومن بين أهم المفاهيم اللسانية، التي كان لها تأثير واسع في تعليمية اللغة، مفهوم الكفاءة اللغوية، ويقابلها مفهوم الانجاز، وهما مفهومان أساسيان في المدرسة التوليدية التحويلية، فالكفاءة اللغوية تمثل جملة الاستعدادات التي تمكن الفرد من إنجاز اللغة بعد ذلك، بمعنى أن الإنجاز هو استثمار للكفاءة[2].

هذا فيما يخص اللسانيات العامة، وما قدمته للتعليمية، أما اللسانيات التطبيقية، فقدمت الكثير للتعليمية، لدرجة أنّه يصعب الفصل بينهما، فعلم اللغة التطبيقي يبحث في تقنيات تعلم اللغات البشرية وتعليمها، سعيا وراء إيجاد أفضل التقنيات والمناهج اللسانية لتطوير العملية التعليمية للغات، المنطوق بها، ومن هنا يعمل علم اللغة التطبيقي على إيجاد الحلول التربوية الملائمة لتدريس اللغات، فبعد تحليل الصعوبات نجده يعتمد الوسائط الفعالة التي لا تجعل المادة اللغوية رهن نظرية لا ينزاح عنها، فهو يعمل بنفعية وانتقائية وحسب المواقف، ويركز على الكفاءة اللغوية للمعلم، الذي عليه أن يتصرف في طبيعة المادة باستعمال الآليات الأساسية التي يراها قابلة لتبليغ الدروس، وكل درس يستدعي آليات تختلف عن الدرس الآخر، وهكذا فإنّ علم اللغة التطبيقي ميدانه الاستعمال[3].

إن كان اللساني يهتم بدراسة اللغة كنظام بغض النظر عن المنهج الذي تتبعه والاتجاه اللساني الذي يتبناه، فإنّ الباحث في اللسانيات التطبيقية المرتبطة بالمجال البيداغوجي، يحصر عمله في الإجابة على سؤالين أساسيين: ماذا نعلم؟ وكيف نعلم؟ [4]؛ وهكذا تتبين لنا العلاقة الوطيدة التي تربط تعليمية اللغة باللسانيات التطبيقية، حيث تعد فرعا من فروعها، والسؤالين السابقين هما صلب موضوع البحث في ديداكتيك اللغات ويسعى دوما للإجابة عنهما، وتهيئة الأرضية الخصبة للاهتمام بالمدرسة وأقطاب العملية التعليمية.

1
2
3
4.

2 -اللسانيات النفسية:

من ناقلة لقول إنّ بين للسانيات التعليمية وعلم النفس علاقة وطيدة، إذا أردنا التدقيق أكثر فعلم النفس المعني هنا هو علم النفس التربوي الذي يطبق مبادئ علم النفس وقوانينه على ميدان التربية والتعليم لحل ما يقوم في هذا الميدان من مشكلات وصعوبات كضعف ا لتلاميذ في تعلم اللغات. كما يطبق مبادئ عملية التعلم وقوانينها على تدريس المواد المختلفة كالحساب والرسم والقراءة واللغة... وعلم النفس التربوي بمفهومه الحديث. لا يقتصر على أن يستعير من علم النفس النظري ما يصل إليه من نتائج ومبادئ تفيده في حل مشكلات التربية والتعليم، بل يصوغ بنفسه ولنفسه مبادئ سيكولوجية يحتاج إليها في هذه المشكلات. كما يعتني هذا النوع بتزويد المعلم بما يحتاج إليه من المبادئ والأسس والنظريات لتفسير عملية التعلم والتحكم فيها[1].

أما الاختصاص (اللسانيات النفسية) فيتطرق إلى مباحث شتى قد لا تدخل مباشرة في تحديد ماهية اللغة ووصفها، بل ما يدعو إلى الاهتمام بها. لكن في مقام ثان بالتطرق إلى شيء من خصائصها كالعوامل النفسية التي لها دخل في تشخيص الأخطاء وتحليلها مثلا.
وكذلك العوامل النفسية التي لها دخل في أمراض الكلام وكيفية علاجها كالحبسة وأنواعها ومراعاة المعلم إلى لحاجات تلاميذه في تسطيره لأهداف درسه وقضايا تخص شخصية المتعلم لغة وخصائصها، وما يتدخل في تلك العملية كالذكاء والذاكرة والترسيخ والنسيان والتوازن النفسي...إلخ[2].

والمنهاج هو أحد الوسائل التربوية التي تعين على نمو التلاميذ نموا يؤهلهم للأعباء التي تتطلبها الحياة والتفاعل معها، وكيفما كانت الأهداف وكيفما كان المحتوى والطريقة، فإنّ هذا لا يؤدي إلى شيء ما لم يعتمد على فهم حقيقي لخصائص التلميذ وحاجاته وميوله ومشكلاته وكيفية تعلمه، فتقديم أي قدر من الخبرات التعليمية للتلميذ دون دراية بخصائصه وحاجاته إنما يؤدي بصورة أو بأخرى إلى الفشل في بلوغ الأهداف التي يسعى إليها المنهاج، ومن ثمة فإن دراسة طبيعة التلميذ تعد أساسا هاما وضروريا يفيد المنهاج[3]. فاللسانيات النفسية مجال من المجالات التي أثبتت ارتباطها الوثيق بتعليم وتعلم اللغات.

1

2

3

وأحيانا يتخذ علم النفس مواقف وقائية وتقوم الجهات الرسمية بوضع برامج تربوية ومناهج تعليمية تراعي فيها التوجيهات التي يوصي بها علم النفس بالتنسيق مع تعليمية اللغات، وتتصدى اللسانيات النفسية في رحاب هذا التوجه لأساسيات اللغة وأهمية تعليمها، كما تتعرض لمكانة اللسان كظاهرة طبيعية بالنسبة للمعوقين ذهنيا، وتسهم في تخفيض نسب المصابين بالعاهات العقلية كالتخلف الذهني وتشريح دورها في إزالة العقبات التي تحول دون النمو الذهني[1].

3 -اللسانيات الاجتماعية:

إن اللسانيات التعليمية تعنى بالمتعلم أولا، فمن المنتظر أن تحث خطاها نحو اللسانيات الاجتماعية المعتبرة لتلك الحيثيات والظروف الاجتماعية، ومواقف الأفراد من الملفوظات المتبادلة، وتفطنهم لظاهرة تناقلها عبر التداخلات اللغوية؛ ففكرة التعليم الاختلاقي الذي تراعى فيه الفروق الاجتماعية ليست من اختراع اللسانيات المجردة لكنها ناجمة عن تلاقي الميدانين (اللسانيات الاجتماعية واللسانيات التعليمية) بل وحتى المنهج التقابلي الذي طالما علّق الآمال عليها معلمو اللغات الحية لا سيما اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، وذلك منذ الخمسينيات وفي ظل الازدواج والتعدد اللغويين. فاللسانيات التعليمية لا تملك إلا أن تلتفت إلى قرينتها لتميز من ثمارها ما تحسبه مناسبا لهداية عملية تعليم اللغات؛ وثمة لسانيات اجتماعية تطبيقية تلك التي تستوعب قضايا التخطيط اللغوي وسياسات التعليم المختلفة التي تتبناها الحكومات، فتلك اللسانيات تقف لها بالمرصاد لترشدها. هذا ما تنظر فيه اللسانيات التعليمية من جانبها أو تنظر إلى وجه آخر من نفس القضية كمستوى تعليم اللغات الذي يتمتع به المتعلمون بينما يخضعون لبرامج تعليمية وتحلل هذه الأخيرة وتدلي برأيها حول عواقب الاستمرار في تطبيقه وتفكر في البدائل إذا اقتضى الأمر ذلك[2].

ونظرا لارتباط اللسانيات التعليمية هذا الارتباط الوثيق باللسانيات الاجتماعية فهي لم تقو على أن تبقى في منأى عن القضايا اللغوية الحساسة والمسائل القطريّة المميزة للوطن ولشعبه، ولم تفر في وجه الاختيارات السياسية التي يثار حولها الجدال من حين لآخر، ومنذ أن تسلمت مهام النظر في البرامج التعليمية مثلا كانت تستبق كل حوار مع الهيآت المعنية بتنفيذ تلك البرامج، وما توانت عن طرح تساؤلاتها اللسانية المرتبطة بتاريخ الأمة وبالصراعات المتعاقبة حول التعريب والفرنسية في الجزائر

1

2

مثلا؛ نعرف أنّ وجها آخر من هذه التساؤلات سبق وأن طُرحت على اللسانيات الاجتماعية بمصراعها المهتم بعلاقات اللغة وعلمها (اللسانيات) بالتحولات التي تُمنى بها إثر تدخُل الإنسان ويده المؤثرة بإرادته التي تظل تراوح مكانها وهي تتحلى بأزياء مختلفة كالاستعمار مثلا والاقتصاد والثقافة[1].

وفي ظل ما تتحسسه اللسانيات التعليمية من ضرورة إنجاز دراسات استشرافية تجد نفسها– مثلها في ذلك مثل اللسانيات الاجتماعية– وجها لوجه أمام أسئلة من هذا النوع: ما هي اللغة التي يتحتم على المنظومة التربوية أن تتبناها في تعليم المواد العلمية؟ بأيّة لغة يستقيم وضع تعليم هذه المادة أو تلك؟ بل تتدخل تحت رحمة اللسانيات الجغرافية التي يضمها غلاف اللسانيات الاجتماعية حسب تقسيم جان ديبواه لمجال هذه الأخيرة. وقريبة من هذا النوع من الدراسات تلك التي تُنجز في إطار ما يدعي الأمن اللغوي والتخطيط اللساني، وهو قسم بالنظر إلى فصوله التي تتصدى لها اللسانيات الاجتماعية لا يختلف كثيرا عن جدول أعمال اللسانيات التعليمية، هذا ما يشهده ما صار مؤخرا كوجهة يقصدها كثير من الباحثين بترفق أحيانا إذ يقرون بحدود معالجاتهم أو بدون ذلك، على غرار ما صنعه الباحث زهير غازي زاهد، لكي نكتفي بإيراد مثالٍ واحد، إذ فسح المجال لمباحث تعليمية بالدرجة الأولى وضمنها كتابه الذي وسمه العربية والأمن اللغوي [2]، وهذا نجده فيما خصصه للغة ومناهج الدراسة حيث قارب وإن كان بشكل غاية في التشخيص السطحي. ظاهرة إيكال مهمة تدريس العربية لمدرسين غير أكفاء في غالب الأحيان. وسبقه إبراهيم السامرائي إلى ذلك بعنونة أحد محاور كتابه بـ اللغة في برامج التنمية[3].

أما عند الغربيين فمن بين الأعمال التي تتصدر قائمة اهتمامات هذا النوع من الدراسات، نجد جميع ما يتمحور حول تعقُّب كيفيات تدخّل الإنسان في لغته بفعل إرادته، كحملات التوعية المنصبّة على مكافحة الأمية، وكتنظيم ألعاب ثقافية وتربوية وتثقيفية تأتي فيها أسئلة اختباريه تتصل باللغة مباشرة وبإملائها، وكذلك نشر القواميس اللغوية الساعية إلى تعميم الفائدة؛ كما لا يمكن إقصاء تعليم اللغة من دائرة هذا الفعل اللساني الإرادي، فتعليم اللغة بجميع أشكاله يعد فعلا إراديا بامتياز ومن أهم الأفعال اللسانية تأثيرا في اللغة: فهنا مجال تلاقي الدراسات باللسانيات التعليمية[4].

1
2
3
4